مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص289– ص315 يناير 2015
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

أنماط الشخصية وسماتها وتقويمها في ظلال سورة التوبة

دراسـة قرآنيـة

أ. فريد فرج سعيد زيارة
ماجستير في تفسير القرآن وعلومه
عضو الهيئة التدريسية بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية

ملخص: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين. تناول البحث المعنى اللغوي والاصطلاحي لأنماط الشخصية

قامت الدراسة على تحليل أنماط الشخصية السوية وغير السوية في سورة التوبة حسب معتقداتهم فتمثلت الشخصية السوية وهي المؤمنة في أنماط شخصية المهاجرين والأنصار والتابعين، وغير السوية وهي الكافرة في نمط أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وفي نمط المشركين والمنافقين.

كما تناول البحث أنماط شخصية خاصة في السورة وهي أنماط المتخلفين وأنماط الأعراب والشخصية المختلطة التي خلطت بين العمل الصالح والعمل السيئ.

وأوضح البحث أبرز سمات الشخصية التي صورتها السورة والتي تتميز بها الأنماط السابقة.

وفي نهاية الدراسة أوضح المبحث الأخير وسائل تقويم الشخصية السوية وغير السوية التي أوردتها السورة.

ولم يتعرض الباحث لأنماط الشخصية أو وسائل التقويم الأخرى التي ذكرها القرآن في غيرها من السور.

personal Patterns characteristics and evaluation in the shadow of Surat Altawba

Abstract: The research has tackled the linguistic and idiomatic meaning of the personality patterns. The study banked on analyzing the decency normal and abnormal personality patterns in Surat Al Tawba according to their beliefs. The decency believer personality represented in the patterns of Al Muhajereen, Al Ansar, and the followers. On the other hand, the abnormal pattern represented in the patterns of the people of scriptures; the Jews and Christians, and in the pattern of the hypocrites and pagan.

Additionally, the study discusses special personality patterns in the same Sura that is the pattern of those who sat at home (Al Mutakhalefeen), tribes (Al Aarab), and the confused pattern that mixes the good works with the evil ones.

In this regard, the researcher clarified the most important characteristics that have been imaged in surat Al Tawba. Finally, the present study has figured out methods of reforming the normal and abnormal personalities manifested in the Sura. It is worth mentioning that the researcher neither tackles other types of personality nor other methods of reforming mentioned in the Holly Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اعتنى القرآن الكريم بالإنسان وشخصيته، وهو الأقدر على توصيف الإنسان وشخصيته ، وهو الأعلم بتصنيفها وتقويمها لقوله تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ **(الملك:14)**

وقد ذكر علماء النفس للشخصية سمات وتصنيفات على أسس في غالبها مادية وشكلية، وتناولها القرآن من حيث اعتقادها الديني المرتبط بإيمانها أو نفاقها أو كفرها؛ بل جعل هذه الأنماط في نفسها أنماطا متفاوتة كما أبرزته سورة التوبة، فتناولت أنماط المؤمنين وأنماط المنافقين وانماط المشركين وأنماط الأعراب وأنماط المتخلفين والفروقات بينهم.

وكل هذه التصنيفات والأنماط في سورة التوبة تقوم على أساس الاعتقاد بالإيمان ونقيضه، وكيفية علاج الشخصية وتقويمها.

أهمية البحث:

1. إبراز مكونات الشخصية الإنسانية بمنظور القرآن.
2. بيان الإعجاز القرآني في علم النفس خاصة في جانب الشخصية البشرية.
3. سبق القرآن لعلماء النفس في التعرف على الشخصية وسبل تقويمها.
4. كيفية علاج وتقويم القرآن لأنماط الشخصية.

سبب اختيار البحث:

1. التعرف على أنماط الناس وشخصياتهم.
2. اضافة علمية قرآنية لعلم النفس وكيفية دراسة الشخصية البشرية
3. إبراز الجانب الإعجازي في علم النفس في القرآن الكريم

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي في سورة التوبة.

يتكون البحث من مقدمة خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: أنماط الشخصية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أنماط الشخصية السوية وغير السوية في سورة التوبة.

المبحث الثالث: أنماط شخصية خاصة في سورة التوبة.

المبحث الرابع: سمات الشخصية في سورة التوبة.

المبحث الخامس: وسائل تقويم الشخصية في ضوء سورة التوبة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: أنماط الشخصية لغةً واصطلاحاً:

المطلب الأول: النمط لغةً واصطلاحاً:

1. النمط في اللغة: النمط يعني "الجماعة من الناس أمرهم واحد والصنف أو النوع أو الطراز من الشيء"(1) وهذا تركيز في الغالب على الشكل كالنحافة والسُمنة واللون وما شابه ، "النمط هو الطراز وهو فئة أو صنف من الأفراد يشتركون في نفس الصفات العامة وإن اختلف بعضهم عن بعض في درجة اتسامهم بهذه الصفات"(2) وقد "حاول علماء النفس في العصر الحديث دراسة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين شخصيات الناس، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس إلى عدة أنماط من الشخصية، يتميز كل نمط منها بجمله معينة من الصفات أو السمات المميزة"(3) هذا يبرز التفاوت في أنماط الأفراد وهي الفروقات الفردية

2. النمط اصطلاحاً: هي جملة من السمات والملامح البشرية يشترك فيها أمة من الناس .

وليس يعني النمط التماهي كاملاً بين الشخصيات، ولكن التلاقي في العديد من الصفات أو السمات.

المطلب الثاني: الشخصية لغةً واصطلاحاً:

1.**الشخصية لغةً:** الشَّخْصُ هو: " سواد الإنسان تراه من بعد ثم استعمل في ذاته قال الخطابي ولا يسمى (شَخْصًا) إلا جسم مؤلف له"(4)، والشخصية "كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان والشخصية صفات تميز الشخص من غيره"(5)

"وقد أحصى أولبورت أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية"(6)، و"هناك العديد من التعريفات العلمية للشخصية بعضها يركز على الجوانب الاجتماعية، بينما تركز تعريفات أخرى على الناحية الجسمية والعقلية أو الأخلاقية والانفعالية والمزاجية"(7)

2. الشخصية اصطلاحاً : ذكر العديد من علماء النفس تعريف الشخصية اصطلاحاً ومنها: أنها "مجموع الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف ، سواء في فهمه وإدراكه أم في مشاعره وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي ، ويضاف إلى ذلك القيم و الميول والرغبات والمواهب والأفكار والتصورات الشخصية"(8).

وقد عرفت الشخصية سابقاً في رسالتي للماجستير بأنها:" مجموعة السمات العقدية والأخلاقية والجسمية والعقلية والوجدانية التي يتفرد بها إنسان عن غيره، أو مجموعه من الناس عن غيرهم"(9) فالشخصية في مفهومها العام تعني سمات الإنسان وصفاته العقلية والنفسية والخَلْقية والخُلُقية والوجدانية والاجتماعية التي تخصه و التي يختص بها كل إنسان بذاته عن غيره سواء في اعتناقه

الديني أو الفكري أو السلوكي، حيث " يختلف الأفراد في ذكائهم وقدراتهم وأجسامهم واتجاهاتهم وميولهم العاطفية والانفعالية، كل هذه الجوانب وغيرها هي التي تُشكل مقومات الشخصية"(10) والشخصية لها مكونات بدنية جسمية ومكونات عقلية معرفية فكرية ومكونات انفعالية عاطفية ومكونات خلقية وسلوكية ومكونات بيئية اجتماعية.

وسورة التوبة أبرزت هذه الصفات والسمات والمكونات لشخصيات متنوعة ومتعددة في السورة والتي ركزت عليها الدراسة

وهذا البحث يُلقي الضوء على أنماط الشخصية من خلال سورة التوبة من حيث الاعتقاد ومن حيث الإيجابية والسلبية، خاصة أن القرآن صنف الشخصيات على أساس الاعتقاد إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون، وقد سمى ثلاثة سور بأنماطهم فسمى سورة المؤمنون وسورة المنافقون وسورة الكافرون ورسم لكل نمط من هذه الأنماط الشخصية الثلاثة دلالات تميزه عن غيره.

وسورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون آية، وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة، وعشرة آلاف وأربع مائة وثمان وثمانون حرفا .

وقد رسمت سورة التوبة العديد من ملامح وسمات وأنماط الشخصية لذا فهي لها عدة أسماء تتناسب مع أنماط هذه الشخصيات وهي: " براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافزة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين: تبحث عنها وتشهرها وتحفز عنها، وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم" (11).

ورسمت صفات وملامح نمط المؤمنين، وكذلك رسمت صفات وسمات وأنماط المشركين وأهل الكتاب "ويفيد مثل هذا التصنيف عادة في تبسيط عملية فهم شخصيات الناس ، فإذا عرفنا أن شخصاً ما يتصف ببعض الصفات التي يتميز بها نمط معين من أنماط الشخصية، فإننا نقوم بنسبة هذا الشخص إلى هذا النمط"(12) وسنتعرف على هذه الشخصيات

المطلب الثالث: مفهوم الشخصية:

تختلف الشخصية حسب معتقداتها بين الخير والشر والصحة والسقم فتتصف بالشخصية السوية أو غير السوية وسنعرض لمفهوم الشخصية حسب ذلك.

أولاً: تعريف الشخصية السوية:

الشخصية السوية هي الشخصية المحمودة التي تتصف بالتوازن في معظم صفاتها وسماتها "الشخص السوي هو الشخص الذي يتطابق سلوكه مع سلوك الشخص العادي في تفكيره، ومشاعره، ونشاطه ويكون سعيداً ومتوافقاً شخصياً وانفعالياً واجتماعياً"(13).

وتُعرف الشخصية السوية بأنها الشخصية " التي تعنى بالبدن وصحته وقوته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى، وتتجنب كل ما يبغضه"(14).

فالشخصية السوية المحمودة هي التي توازن بين حاجات الجسد التي تحافظ عليه، ومتطلبات الروح التي تزكيها، فالجسد يُغذى بالغذاء الحلال والروح بالغذاء الروحي.

ثانياً: الشخصية غير السوية:

الشخصية غير السوية هي الشخصية السقيمة والمذمومة التي تتصف باختلال المفاهيم والقيم والسلوك، فلا تستطيع التفريق بين ما ينفعها أو يضرها، وهي تُعنى بإشباع حاجاتها الجسدية الشهوية على بقية الاحتياجات الأخرى.

الخلاصة:

أنماط الشخصية لها مقاييس مختلفة عند علماء النفس، ولكن القرآن ركز على الجانب الأهم في أنماط الشخصية وهو المتعلق بمعتقدات الشخصية "وقد أشار القرآن إلى هذه الأنماط الثلاثة من الناس وهم : المؤمنون، والكافرون، والمنافقون في مواضع كثيرة من القرآن ، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم "(15) ، وقد تناولت سورة التوبة هذه الأنماط بسمات خاصة وفروقات بين كل أنماط الشخصية ذات التوجه الواحد فالمؤمنون منهم المهاجرون والأنصار والتابعون، وأهل الكتاب فيهم المسلمون واليهود والنصارى، والكفار فيهم المشركون من مكة وأهل الكتاب والمنافقون، وهكذا.

المبحث الثاني: أنماط الشخصية السوية وغير السوية في سورة التوبة:

المطلب الأول: :أنماط الشخصية السوية في سورة التوبة:

تعددت صور وأشكال الشخصية السوية المحمودة وهي الشخصية السليمة المهتدية عبر العصور السابقة واللاحقة، وهي الشخصيات التي اتبعت أنبياءها الذين أرسلوا إليهم لهدايتهم، وهم أنماط متنوعة في تكوينها وجمعها الإيمان بالله.

وأبرزت سورة التوبة الفروقات الفردية بين أهل كل نمط من أنماط الشخصية السليمة التي وردت فيها.

أولاً: أنماط شخصية أهل الإيمان:

تتمثل هذه الأنماط في سورة التوبة في شخصيات المهاجرين والأنصار والتابعين قال تعالى:﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة:100) أي:"والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله (من المهاجرين)، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم، (والأنصار) الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله، (والذين اتبعوهم بإحسان) الذين سَلَكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلباً لرضا الله "(16) والتابعون هم: "اللاحقون بالسابقين من الفريقين على أن مِنْ تبعيضة أو الذين أتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة"(17) ومعنى الذين اتبعوهم بإحسان: (الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة وليس المراد بهم التابعين اصطلاحا)(18) أو"الذين سلكوا طريقهم واقتدوا بهم في سيرتهم الحسنة، وهم التابعون ومن سار على نهجهم الى يوم القيامة"(19)، وكلها شخصية سوية بتفاوت، وهذه الأنماط ذكرها الله متسلسلة في سورة الحشر فقال: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾(الحشر: 8–10)، فبينت الآيات أنماط شخصية أهل الإيمان وهي:

النمط الأول: المهاجرون: في قوله تعالى: [**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**](الحشر:8) وهم أفضل الأنماط لفضل السبق والإيمان.

النمط الثاني: الأنصار: في قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**] (الحشر:9)، وهم أهل الفضل في إيواء واحتضان الذين سبقوهم بفضل الإيمان من المهاجرين، فهم يلونهم في الخيرية.

النمط الثالث: التابعون: في قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**] (الحشر: 10)، وهم الذين يسيرون على درب الذين سبقوهم من المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

وصفات أنماط أهل الإيمان هذه متفاوتة في الخيرية والأفضلية فالمهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون، وكما في قوله تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾** (فاطر:32) أي: " ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، وهم:

1. المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.
2. المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات
3. الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات"(20)،

ففيهم الأعرابي الجافي وفيهم ماعز والغامدية والمخزومية وفيهم أبو بكر وفيهم سعد بن معاذ وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي رضي الله عن الصحابة أجمعين، كلها أنماط جمعها الإيمان.

ثانياً: أنماط شخصية أهل الكتاب في سورة التوبة :

من الطبيعي أن تختلف أنماط الشخصيات الإنسانية بين الإيجابية والسلبية والمحمودة والمذمومة والسوية وغير السوية، فقد خلق الله الناس متفاوتين في أشكالهم وتوجهاتهم وأماكنهم وأجناسهم ومعتقداتهم قال تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾** (الزخرف:32)، والشخصية الكتابية منها السوية المحمودة كما قبل الإسلام، ومنها غير السوية المذمومة، وكل شخصية لها سماتها وطباعها:

1. شخصية أهل الكتب السماوية السوية المحمودة:

امتدح الله بعض أنماط شخصيات السابقين من الأمم على اعتقادهم وأيمانهم وأعمالهم الصالحة ووعدهم الخير الكثير فقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**(المائدة: 69)، وأنماط الشخصية الكتابية هي: الشخصية المسلمة والشخصية الإنجيلية والشخصية التوراتية، وقد وردت في سورة التوبة بصفات وسمات أبرزت شخصيتها على الحقيقة.

أ.**الشخصية المسلمة** : وهي شخصيات المسلمين الذين يؤمنون بالله ويستجيبون لأوامره فذكرهم في سورة التوبة فقال : **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(التوبة:20)** ، كما أشار إلى أنماط الشخصية الإيمانية المتفاوتة في منسوب إيمانها ومكانتها عند الله فقال : **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ**

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:117) فالمهاجرون هم أفضل أنماط الشخصية المؤمنة ثم الأنصار ثم التابعون.

ب.الشخصية الكتابية: وهي أنماط متعددة ومختلفة، فمنهم الشخصية اليهودية والنصرانية، وما جاءت الشخصية اليهودية في القرآن إلا بصورة الذم في غالب القرآن، وجاءت بعض أنماط الشخصية الإنجيلية محمودة وبعضها مذمومة قال تعالى عن الشخصية النصرانية غير السوية السقيمة المذمومة قال تعالى: **﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة:30)** فقد نسبوا الولد لله كفراً.

وقال عن الشخصية النصرانية المحمودة، والحديث هنا قبل الإسلام قال تعالى: **﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة:82 – 85)** فقد بعث "النجاشي ثلاثين رجلا من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس فبكوا فنزلت فيهم الآية"(21) فقد أوضحت الآيات أن النصارى شخصيتهم أقرب إلى الخير من المشركين واليهود فإن " أشد الكفار تمردا وعتوا وعداوة للمسلمين اليهود ، ويضاهيهم المشركون ، وبين أن أقربهم مودة النصارى"(22) ، وعلى الرغم من قربهم للمودة فهم من أهل الكتاب الكفرة ما لم يدخلوا في الدين الإسلامي لأن"النظرة إلى حقيقة ما عليه أهل الكتاب من الانحراف عن دين الله الصحيح لم يتغير فيها شيء وأن وصمهم بالانحراف والفسوق والشرك والكفر ليس جديداً، ولا يعبر عن اتجاه جديد فيما يختص بحقيقة الاعتقاد، وذلك مع ملاحظة أن القرآن الكريم ظل يسجل للفريق المهتدي الصالح من أهل الكتاب هداه وصلاحه"(23)

فالشخصية الكتابية السليمة تشتمل على الشخصية المسلمة والشخصية الإنجيلية المحمودة، وبعد مجيء الإسلام أصبحت الشخصية النصرانية في أنماط الشخصية غير السوية السقيمة والمذمومة حتى تدخل في الإسلام.

المطلب الثاني: :أنماط الشخصية غير السوية المذمومة في سورة التوبة:

ونقصد بهذه الشخصية أنها الشخصية التي ذمها الله، وهي كل شخصية سلكت منهجاً مخالفاً لدين الله الإسلام، فهي شخصية تربت على أسس ومفاهيم وقيم ابتدعوها بأهوائهم لا حقيقة لها، ولا مرجع لها إلا عقولهم الفاسدة وشياطينهم المردة.

والأنماط الكافرة تضم أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، فهذه الأنماط تشترك في سمة مذمومة وسلبية تجعلها سقيمة وغير سوية وهي سوء الاعتقاد وإبطان الكفر.

أولاً: الشخصية المشركة: وهي الأنماط التي تعبد غير الله فتعبد المخلوقات كالشمس والقمر والملائكة والنار، ونرى في عصرنا عُباد البقر والأفكار الشيوعية والعلمانية والبراجماتية وغيرها، وهؤلاء جميعاً شخصيات مشركة سقيمة ومذمومة وغير سوية قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ...**﴾ (التوبة:28) فقوله إنما المشركون نجس " يجسم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس، يستقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون، وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة، فأجسامهم ليست نجسة بذاتها"(24) فنجاسة المشرك نجاسة الفكر والعقيدة بجانب قذارة الجسد وهي التي تجعله سقيماً، فإذا تطهر من ذلك عادت له طهارته فأصبح سليماً، فالمقصود بالنجاسة أن "معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنّهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها"(25) فهم بذلك مرضى غير معافين، وقذرة مذمومة وهو ما يجعلهم في نمط الشخصية غير السوية.

ثانياً: الشخصية الكتابية الكافرة:

وهي شخصية اليهود والنصارى الكفرة فهم لا يؤمنون بالله إلا وهم مشركون به فهم لا يحرمون الحرام ولا يحلون الحلال إلا بما يتوافق مع أهوائهم، فجمعت السورة بين الكفرة من أهل الكتاب وهما الشخصية غير السوية السقيمة المذمومة من أهل الكتاب اليهود والنصارى فقال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾**(التوبة:29 ،30)** "فليس المقصود اقتصار القتال على من اجتمعت فيهم الصفات الأربع بل كل صفة منها مقصودة ، فقد يؤمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر ويحرَمون ما حرّم الله في دينهم ولكنّهم لا يدينون دين الحقّ وهو الإسلام"(26)، فسقمهم وذم شخصيتهم عدم دخولهم في الإسلام، وهذا ملموس من سلوكهم وتصرفهم الواقعي.

ثالثاً: الشخصية المنافقة:

جمع الله العديد من صفات الذم في الشخصية المنافقة فقال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ**

وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة:67،68) " أي المنافقون والمنافقات صنف واحد، وهم متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان، كتشابه أجزاء الشيء الواحد يأمرون بالكفر والمعاصي وينهون عن الإيمان والطاعة ويمسكون أيديهم عن الانفاق في سبيل الله وتركوا طاعته فتركهم من رحمته وفضله وجعلهم كالمنسيين فهم الكاملون في التمرد والعصيان، والخروج عن طاعة الرحمن، وكفى به زجراً لأهل النفاق" (27) وحددت شخصيتهم المتماثلة فهم أي: " المنافقون والمنافقات بعضهم يشبه بعضا، وهم ذرية بعضها من بعض فهم متشابهون وصفا وعملا، ذكرا وأنثى، وهذا دليل على تأصل الداء وتمكنه من نفوسهم حتى صار كالغرائز الموروثة" (28)

هذه صورة جامعة للصفات السلبية لشخصية المنافقين القبيحة من كفر وأمر بالمنكر ونهي عن المعروف وإتيان كل شيء سيء ومبغوض، ومنع للخير بجميع أشكاله فهي شخصية غير سوية سقيمة مذمومة.

المبحث الثالث: أنماط الشخصية خاصة في سورة التوبة:

وهي شخصيات لها كينونتها الخاصة بها فتميزها عن الشخصيات الأخرى

المطلب الأول: أنماط الشخصية المختلطة: هذه الشخصية مترددة ومتقلبة بين الإيمان الذي يؤدي إلى الأعمال الصالحة والتردد مع الشهوة والميولات السلبية بعملها للسيئات قال تعالى: **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**(التوبة:102) أي: " أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين رَبِّهم، ولهم أعمال أخرَ صالحة، خلطوا هذه بتلك، فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه"(29)، هذه الشخصية لا تستقر على حال من الهداية أو الضلال فتجمع على نفسها العمل الصالح الذي يجعلها شخصية محمودة ويتجاذبها الأعمال السيئة التي توردها الهلاك فهي تخلط بين الأعمال فهي شخصية مختلطة إلى أن يتغلب جانب على أخر فتكون من أهله فالآية "بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في أمر الدين ولم يكونوا منافقين على الصحيح"(30) "لأنه وصفه بالاختلاط، والمختلطان لا بد وأن يكونا باقيين حال اختلاطهم، لأن الاختلاط صفة للمختلطين، وحصول الوصفِ حال عدم الموصوف محال؛ فدلَّ على بقاء العملين حال الاختلاط "(31) لكن من خلط العمل الصالح بغيره فالغالب أن جانب الخير فيها كبير قد يتغلب على جانب السوء فتميل كفة الصلاح فيها، فهي شخصية مضطربة وغير مستقرة حتى تستقر على الإيمان الثابت.

المطلب الثاني: أنماط شخصيات الأعراب في السورة:

النمط الأول: الشخصية الأعرابية المؤمنة: قال تعالى: **﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ**

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(التوبة:99) هذا النمط من الأعراب يتميز بسعة الأفق ولعله ممن يختلط أكثر بالمدينة وحسن التعامل مع الآخرين وتذكر الآية هنا " ومن الأعراب من يصدِّق الله ويقرّ بوحدانيته، وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين، وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قربات عند الله"(32) ، وهذا النمط الأعرابي المؤمن يتصف بالولاء التام والانقياد السلس، رغم جلف وقسوة الأعراب، وذلك عندما يخالط قلوبهم الإيمان فتصبح شخصيتهم سوية.

النمط الثاني : الشخصية الأعرابية المنافقة: قال تعالى:﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ **(التوبة:98)** وهذا النمط يتقلب حسب مصلحته الشخصية، فهو يدلس على غيره للحصول على مراده، وينقض على خصمه عند أي فرصه تلوح له، لذا قال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾(التوبة:101) أي:"ومن الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة أيضًا أمثالهم"(33).

النمط الثالث: الشخصية الأعرابية الكافرة: قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة:97) معلوم أن الأعراب تقطن في أطراف البلاد بعيداً عن المدن مما يقلل اختلاطها بأهل المدينة، لذا فهم غالباً ما يتصفون بالجلف والحدة في التعامل "والتعبير بهذا العموم يعطي وصفاً ثابتاً متعلقاً بالبدو وبالبداوة، فالشأن في البدو أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً"(34) فالأعراب تظهر جفوتهم وقسوتهم بقله احتكاكهم واختلاطهم بالناس بسبب بعدهم عن المدنية فالأعراب "أشدُّ جحودًا لتوحيد الله، وأشدّ نفاقًا، من أهل الحضر في القرى والأمصار، وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبًا، وأقلُّ علمًا بحقوق الله"(35) ووصفوا بشدتهم في ذلك "لتوحشهم واستيلاء الهواء الحار عليهم، فيزيد في تيههم ونخوتهم ولفخرهم وطيشهم، وتربيتهم بلا سائس ولا مؤدب ولا ضابط ، فقد نشأوا كما شاءوا لبعدهم عن مشاهدة العلماء ومعرفة كتاب الله وسنة رسول الله، ولبعدهم عن مهبط الوحي"(36) فالنمط الأعرابي الكافر شخصية أكثر عداوة وكراهية للناس عموماً ولا تقتصر شدتهم على أهل الإيمان فهي نمط خطير وسيء لأنها شخصية غير سوية.

هذه هي أنماط الشخصية الإعرابية التي صقلتها بيئة الصحراء الصعبة، وطبيعة البشر فيها الفروقات الفردية وهذه توفرت في نمط الأعراب، فإيمانهم عظيم وكفرهم ونفاقهم شر مستطير.

المطلب الثالث: أنماط شخصية المتخلفين عن الجهاد:

تختلف أنماط وسمات المتخلفين حسب درجات إيمانهم بالله وصدقهم مع نبيه، فمنهم الكاذب ومنهم صاحب العذر ومنهم المقصر حسب التالي:

1.النمط الأول: شخصية المتخلفين المنافقين: وهي شخصية كاذبة تختلق العذر، وتسعد بكذبها وتقصيرها قال تعالى:﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ **(التوبة:81)** وقال:﴿ **رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ **(التوبة: 87)** فهي شخصية تتصف بالسلبية والتقاعس والإرجاف والبخل فهي شخصية غير سوية مذمومة.

2.النمط الثاني: شخصية المتخلفين البكائين: وهي شخصية تحترق شوقاً على ما يفوتها من الخير والذي لا تملك ما يمكنها من فعله فيحملها قله ما في يدها على البكاء حرصاً على إيمانها وصدقها قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ **(التوبة:91-93)** "أي تولوا عنك لما قلت لهم لا أجد ما أحملكم عليه حال كونهم باكين "(37) وهي شخصية تحرص على الرقي والايجابية رغم قله إمكانياتها المادية فهي شخصية سوية محمودة.

3.النمط الثالث: شخصية المتخلفين التائبين: وهي شخصية متكاسلة ومقصرة وهذا الخلل لم يمنعها من الإقرار بتقصيرها وتحمل تبعاته لتحافظ على سمتها وبقائها في صفوف الشخصية المحمودة الثابتة على الحق رغم وقوعها في هذا التقصير والتكاسل، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ **(التوبة:118)** فهي شخصية ليست مذمومة بل هي محمودة انتابها بعض الخلل، وتعمل على تداركه والتخلص منه للوصول إلى الشخصية السوية المحمودة فهي شخصية أوابة مهتدية، تسير بمشاعرها وأحاسيسها نحو ربها التواب الرحيم، تستلهم منه الهداية والرشد ، وتسترشد بنور الإيمان في سلوكها والمعنى هنا " أي وفقهم للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين ورجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم إن الله هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وإن كثرت الجنايات وعظمت "(38) فهي شخصية سوية تستشعر التقصير والذنب فتعود إلى ربها فتعود إلى الخيرية، ومثلها كل الشخصيات المقصرة التائبة.

المبحث الرابع: سمات أنماط الشخصية السوية وغير السوية في السورة:

ومنها السمات المحمودة الايجابية ومنها السمات المذمومة السلبية.

المطلب الأول:: سمات الشخصية السوية:

وهي الشخصية المتزنة والمعتدلة والإيجابية التي تقف عند حدود الإسلام وشرائعه، عبادة ومعاملة وأخلاقاً، لا تتهاون في المحافظة على مقومات الشخصية الإسلامية، وايجابيتها في أفكارها وأخلاقها وآدابها وسلوكها، حيث تكون نظرتها إلى الكون والإنسان والحياة نظرة إسلامية تفاؤلية، وتكون المثل الجيد الذي يحتذى يها في الفضائل والخيرية قال تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾**(التوبة:112)** وقد ذكرت الآية سمات الشخصية السوية المحمودة الايجابية ومنها:

1.الشخصية التوابة:﴿ **التائبون**﴾ "الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبُّه ويرضاه "(39) "مما أسلفوا، العائدون إلى الله مستغفرين والتوبة شعور بالندم على ما مضى، وتوجه إلى الله فيما بقي، وكف عن الذنب، وعمل صالح يحقق التوبة بالفعل كما يحققها بالترك، فهي طهارة وزكاة وتوجه وصلاح"(40) فسمتها ديمومة العودة والأوبة إلى الصلاح والخيرية .

2.الشخصية العابدة: ﴿**الْعَابِدُونَ**﴾ "أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة "(41) أو"عبدوا الله على أحايينهم كلها، في السراء والضراء"(42) فهي تحافظ على أداء العبادة في أوقاتها وبكمالها وشروطها ومندوباتها.

3.الشخصية الحامدة: ﴿**الْحَامِدُونَ**﴾ "الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر" (43) أو"الذين يحمدون الله سبحانه على السراء والضراء"(44) فهي تحمد الله على كل حال.

4.الشخصية السائحة:﴿**السَّائِحُونَ**﴾ "عن قتادة:السائحون قوم أخذوا من أبدانهم، صومًا لله"(45) "أو طلبة العلم لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار"(46) و السياحة هي الجهاد وهي الصيام فهي شخصية تسيح في حب الله أينما كانت.

5.الشخصية الخاشعة المتذللة لله:﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾، يعني "المصلين، الراكعين في صلاتهم، الساجدين فيها"(47) "يقومون بالصلاة كأنها صفة ثابتة من صفاتهم؛ وكأن الركوع والسجود طابع مميز بين الناس لهم"(48) " يعني المصلون فيه " مجاز مرسل " من اطلاق الجزء وارادة الكل ، وخص الركوع والسجود بالذكر، لشرفهما"(49) فهم دائمون حافظون لصلاتهم في أوقاتها وكمالها يكسوهم الخشوع والتذلل والانقياد لله.

6.الشخصية الداعية المُصلحة: ﴿**الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ ، فإنه يعني "أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم، واتباع الرشد والهدى، والعمل وينهونهم عن المنكر، وذلك نهيهم

الناسَ عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه"(50) فهم يسعون لصلاح المجتمع بعد اصلاحهم لأنفسهم وأهلهم فهم الدعاة إلى الله .

7.الشخصية القائمة على الشرع:﴿ **وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ**﴾، فإنه يعني: "المؤدّون فرائض الله، المنتهون إلى أمره ونهيه، الذين لا يضيعون شيئًا ألزمهم العملَ به، ولا يرتكبون شيئًا نهاهم عن ارتكابه"(51) فهم لا يفرطون في الشرع بل يحرسونه ويحافظون عليه ما استطاعوا.

﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي: "المتصفين بهذه الصفات" (52)، فهم أصحاب الشخصية الإيجابية المتزنة والمعتدلة، وهي الشخصية السوية المحمودة الرشيدة وهم المؤمنون الفائزون وصف الله سماتهم في السورة بقوله : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة:71)" قلوبهم متحدة في التوادد والتحابب والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الإيمان بالله"(53)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾(التوبة: 18) " أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية" (54) وهذه هي أسس بناء الشخصية السوية حيث إن الطاعات هي أبرز دعائم الإسلام وهي الترجمة العملية للعقيدة والعبادة وهي تعكس السلوك الصحيح والخلق القويم لشخصية المسلم .

هذه جملة من سمات الشخصية السوية أشارت إليه آيات سورة التوبة بالإضافة إلى سمات ذكرتها سور أخرى.

المطلب الثاني: سمات أنماط الشخصية غير السوية:

وهي سمات وملامح سيئة وخبيثة تدلل على سُقم هذه الشخصيات المختلة والسلبية المذمومة :

أولاً: سمات وملامح شخصية المشركين:

تناولت السورة سمات وملامح الشخصية المختلة وهي شخصية المشركين فهم لا عهد لهم ولا وفاء قال تعالى: ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ، اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ (التوبة:8–10)

اشتملت الآية على عدة سمات وملامح الشخصية المشركة غير السوية المذمومة ومنها:

1.الخيانة والغدر: ﴿**لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً** ﴾" لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة"(55) ، " لا يراعوا حلفاً ولا قرابة ولا عهداً"(56) "عدم مراعاتهم حقّ الحلف والعهد خُلُق متأصّل فيهم، سواء كانوا أقويّاء أم مستضعفين، وإنّ ذلك لسوء طويتهم للمؤمنين لأجل إيمانهم، وقد نشأ عن الحقد، الشيء الذي أضمروه للمؤمنين "(57) فهي شخصية لا تألوا جهداً في الغدر والحقد والخيانة ولو لأقرب المقربين منها لسوء طويتها.

2.**المجاملة الكاذبة:** ﴿**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ "أي يقولون بألسنتهم ما فيه مجاملة ومحاسنة لكم طلبا لمرضاتكم وتطييب قلوبكم وقلوبهم تأبى ذلك وتحالفه وتود ما فيه مساءتكم ومضرتكم كما يفعله أهل النفاق وذوو الوجهين"(58) وهي المداهنة والتمويه لتغطية كذبهم وهذا لسقمها وفسادها.

3.الفسق: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾"فسق وتمرد كان سببه مجرد اتباع الشهوات والركون إلى اللذات"(59) فهم خارجون عن الطاعة متلبسون بالمعصية خارجون عن الخير.

4.استبدال الخير بالشر: ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا** ﴾" والمراد بالإشتراء الاستبدال أي شيئاً حقيراً من حطام الدنيا وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها"**(60)** ، فهم يشترون النار بخطاياهم فيستبدلون الايمان بالكفر.

5.الصد عن سبيل الله: ﴿**فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ "عدلوا وأعرضوا أو صرفوا ومنعوا غيرهم عن الدين الحق الموصل إليه تعالى"(61)، فهم يرصدون المؤمنين ويقطعوا عليهم طريق الاستقامة ليتبعوهم في غيهم وفسادهم.

6.العدوان: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾"المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة"(62) ، فهم يناصبون العداء لغيرهم لسقم شخصيتهم المذمومة ولتعديهم وتجاوزهم المتصفة بها شخصيتهم.

ومن وصف الله لملامح شخصيتهم قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ **(التوبة: 17)**" لأنّ إيثارهم

البقاء على كفرهم يتسبّب عليه أن يصدّوا الناس عن اتّباع الإسلام ، فمثّل حالهم بحال من يصدّ الناس عن السير في طريق تبلّغ إلى المقصود"(63) فهم لا يعمرونه اعتقاداً وطاعة لله؛ بل لآلهتهم وأصنامهم كفراً بالله.

7.**النجاسة:** فهم انجاس بقاذوراتهم وعدم طهارتهم الظاهرة والباطنة "أي ذوو نجس وهو مصدر، يقال نجس نجساً وقذر قذراً لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم ، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها" (64) والمقصود بالنجاسة هنا المعنوية والفكرية والعقدية.

ومن جميل ما ذُكر في التفاسير لهذه الشخصية المذمومة غير السوية في سورة التوبة:

في قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ **(التوبة:8)** يعني: "وإنْ يقدروا عليكم ويظفروا بكم لا يرقبوا : لا يحفظوا ولا يرعوا إلا عهداً أو قرابة أو حلفاً أو سياسة أو الله تعالى ، وأكثرهم خبثاً لأنفس خريجون في الشر لا مروءة تردعهم، ولا طباع مرضية تزعهم، لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة، ومن كان بهذا الوصف كان مذموماً عند الناس وفي جميع الأديان "(65) "لأن الكافر قد يكون محترزاً عن الكذب، ونقض العهد والمكر والخديعة، وقد يكون موصوفاً بذلك، ومثل هذا الشخص يكون مذموماً عند جميع الناس وفي جميع الأديان، فالمراد بقوله : (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) أن أكثرهم موصوفون بهذه الصفات المذمومة"(66).

وفي قوله تعالى:﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (التوبة: 9) يعني: "اتباع الشهوات والأهواء لما تركت دين الله وآثرت الكفر، كان ذلك كالشراء والبيع"(67).

وفي قوله تعالى:﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ (التوبة: 10)" وأولئك أي الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة هم المعتدون المجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد"(68) وهو يوحي بغياب مشاعر التعاطف والحنان والرحمة والمودة فقاموسهم يكاد يخلو من هذه المعاني.

هذه جملة من سمات المشركين الخبيثة التي يتصفون بها والتي تختمهم وتدمغهم بنجاستهم ليكونوا في نمط الشخصية غير السوية .

ثانياً: سمات شخصية أهل الكتاب:

وهم اليهود فمنهم من يؤلهون عزير والنصارى الذين يؤلهون المسيح قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(التوبة: 30– 34) وقد أشارت الآية إلى سمات الشخصية الكتابية الكافرة ومنها:

1.عدم إيمانهم بالله ولا باليوم الآخر: فهم لا يعتقدون بيوم الحساب ولا بوحدانية الله.

2. أنهم لا يدينون دين الحق: فهم لم يقروا بدين الاسلام الحق فيتبعوه ، حقداً وحسداً.

3. تأليه العزير والمسيح: وذلك بنسبتهم الولد لله متمثلاً في بنوة العزير والمسيح لسقم شخصيتهم ومرضها وبذلك " فان اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم ، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث"(69)فهم مشركون بالله مما جعل شخصيتهم غير سوية.

4. عبادتهم أحبارهم وقساوستهم ورهبانهم: " حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم"(70) فعبادتهم لأحبارهم ورهبانهم طاعتهم لهم باستحلال ما حرم الله ورسوله وعدم تحريمهم لما حرمه عليهم .

5. الحرص على المال واقتنائه: فهم يحرصون على جمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ويسيل لعابهم عليه " يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به"(71) لأكلهم أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(التوبة:34)**" صورة هذا الأكل هي بأنهم يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم أي النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله وهم خلال ذلك يحتجزون تلك الأموال"(72) فهي شخصية لا تشبع من جمع الأموال والحصول عليه بشتى السُبل، فأبشع ملامح وسمات الشخصية غير السوية هي اشراكهم بالله بتأليه عزير والمسيح وأنهم يشابهون الوثنيين والإغريقيين أو الرومانيين والفراعنة بالإضافة إلى أنهم عظموا وقدسوا أحبارهم وقساوستهم ورهبانهم واتخذوهم آلهة يطيعونها ويستسلموا لأوامرها "وأنهم بهذا خالفوا عما أمروا به من توحيد الله والدينونة له وحده ، وأنهم لهذا مشركون "(73) وقيل "أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين: الملائكة بنات الله وقيل: قولهم: المسيح ابن الله ، قول اليهود: عزير ابن الله ، لأنهم أقدم منهم"(74) وهذه الشخصية السقيمة مذمومة وسلبية وحاقدة تأتي كل قبيح وتترك كل جميل فهي شخصية غير سوية.

ثالثاً: سمات شخصية المنافقين في السورة:

سمات الشخصية المنافقة هي سمات يغلب عليها الجبن والتردد والتقلب مما يدمغها بالسقم والمرض والذم العقدي، ومن أبرز سمات هذه الشخصية أنها شخصية عدوانية تتصف بعدم المبالاة وبرود المشاعر والانفعالات النفسية وعدم الإحساس وغياب العواطف وضعف التأثر بالانتقادات والتقريع والتوبيخ فهي شخصية غير سوية وسقيمة.

وقد ذكرت سورة التوبة العديد من هذه السمات ومنها:

1.**شخصية مترددة ومرتابة:** قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾**(التوبة:45)** "شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم فهم يتحيرون، لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المتبصر"(75) فهي شخصية شكاكة وسيئة الظن وكثيرة التردد والتقلب وهي متفاوتة في التردد والشك وسوء الظن في الغير.

2.**شخصية مثبطة:** قال تعالى:﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ **(التوبة:47)**"رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه، و لسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين "(76) وهي شخصية تحاول شق الصف ووضع العراقيل وايجاد حالة البلبلة والتخبط في المجتمع، مما يوهي المجتمع ويزعزع الاستقرار فيه ويثير التثبيط واليأس خلاله.

3.**شخصية شامتة وحاقدة:** قال تعالى: ﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**﴾ **(التوبة:50)** وهذه الشخصية كثيرة الحقد والشماتة واللوم واتهام غيرها بالخطأ في مواقفهم وصوابية موقفها، وتسعد بعدم مساسها بالابتلاء والمحنة التي يقع فيها غيرها، وإذا ما أصاب مخالفيها الخير كرهت ذلك وأبغضته لسوء سريرتها.

4.شخصية مرائية: قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ **(التوبة:54)**" أنهم لا يصلون في حال من الأحوال إلا في حال الكسل والتثاقل لأنهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا فصلاتهم ليست إلا رياء للناس وتظهرا بالإسلام الذي يبطنون خلافه والثالث : أنهم لا ينفقون أموالهم إلا وهم كارهون"**(77)**، هذه الشخصية تُظهر عكس ما تُبطن، فهي تظهر وتعلن صلاحها وتستر وتخفي فسادها، وبذا اشارت الآية بالتكاسل في الصلاة والإنفاق غصباً وكرهاً.

5.**شخصية جبانة ومرعوبة:** قال تعالى: ﴿﴿**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**﴾ **(التوبة: 57)**، هذه الشخصية تخشى المواجهة وتفر منها، وتبحث دائماً عن مخرج أو سبيل للفرار جبناً ورعباً وخوفاً يملأ قلبها وفكرها.

6.**شخصية مؤذية:** قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **(التوبة:61)**" من فضائح المنافقين وقبائحهم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه و سلم على وجه الطعن والذم هو أذن "(78) فهي شخصية مريضة تبدي الإنصات والتركيز وتخفي الحقد وتتصيد السقطات في كلام المتحدث مع اضمار التآمر ضده والتحامل عليه، وإلحاق الضرر والأذى بمن يحدثونه من الصالحين.

7.**شخصية مستهترة:** قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾**(التوبة:65)** فهي تتلذذ بالإساءة والتحقير للناس وإهانتهم والاستهزاء والسخرية بهم ، والعمل على إيلامهم والتلاعب بمشاعرهم لإيذائهم وتجريحهم.

8.**شخصية كاذبة:** فهي شخصية كثيرة الحلف كذباً ليغطوا خطأهم وإساءتهم خوفاً وفرقاً من المحاسبة قال تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ...**﴾**(التوبة:74)**، وقال تعالى:﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ...)(التوبة:95)** ويقول: ﴿**يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...** ﴾**(التوبة:96)** والكذب صفة أصيلة في المنافقين

9.**شخصية ناكثة العهد:** تنقض العهد ولا تفي به ليس لعدم مقدرتها بالوفاء؛ ولكنه مرض تربت عليه قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ **(التوبة:75،76)** ونقض العهود سمة بارزة في المنافقين

10.**شخصية ساخرة مستهزئة** : ديدنها النقد الساخر والاستهزاء من المكثر أو المقل، وممن يعمل كثير العمل، وممن يعمل بقدر طاقته وإمكاناته قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **(التوبة:79)**

11.**شخصية ضرارية:** قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ **(التوبة: 107)**، وهي تبحث دائماً عما يضر غيرها وترصد تحركاته من أجل العمل ضدها لإفساد كل عمل صالح تستطيع أن تفشله.

فالشخصية المنافقة هي الشخصية السقيمة السلبية المذمومة والمختلة وهي التي وصفها الله في قوله: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ**

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(التوبة: 67، 68) "ذكر هاهنا جملة أحوال المنافقين وأن ذكورهم في ذلك كإناثهم وأنهم متناهون في النفاق والبعد عن الإيمان"(79) "حكم عليهم بالفسق : أي الخروج عن طاعة الله إلى معاصيه وهذا التركيب يفيد أنهم هم الكاملون في الفسق"(80)، "هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد في الكفر والانسلاخ عن كل خير"(81) فالشخصية المنافقة هي شخصية غير سوية بامتياز فهي تتصف بكل سوء ومرضها أكبر وأخطر.

نلمس الشخصية غير السوية جمعت سمات بين أنماط المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمنافقين لما يجمعهم من ابطان الكفر وسوء الاعتقاد .

المبحث الخامس: وسائل تقويم الشخصية في ضوء سورة التوبة:

ووسائل التقويم التي ذكرتها السورة تتمثل في غالبها في السورة بالتوبة والإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهي تنسجم مع جميع الأنماط في السورة من المؤمنين والمشركين والمنافقين وبما فيهم المتخلفون والأعراب، وقد وردت لفظة التوبة ومشتقاتها في السورة سبعة عشر مرة،" إن تصنيف الناس إلى أنماط على أساس الإيمان، سواء في القرآن أو الحديث ، أنما يتمشى مع وجهه نظر الإسلام في أن الإيمان هو القيمة الإنسانية العظمى التي على أساسها تُقوم شخصية الإنسان"(82)، وتقويمه يقوم على أساس الإيمان أيضاً

أولاً: تقويم شخصية المؤمنين:

تقويم هذه الشخصية حسب ما ذكرته آيات سورة التوبة تكون بديمومة التوبة والحفاظ على الايمان والعبادات ودعوة الآخرين للخير لتحافظ على سلامتها جمعها قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة: 71)**، ويمثل لهم بالمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ومن سار على هديهم وطريقهم.

ثانياً: تقويم شخصية المنافقين :

هذه شخصية متلونة كالحرباء وتقويمها يحتاج إلى تثبيت لونها وصبغتها أي بالإيمان وموافقة الباطن للظاهر فهي تعلم أن الإسلام دين الحق ولكن الحقد والكراهية التي أسقمت قلوبهم تمنعهم من سلامة شخصيتهم، ولا ينقصهم إلا التوبة والإخلاص لله قال تعالى: **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (التوبة:74)

فاشترط الله توبتهم لينعموا بالخير، فتوبة المنافقين هي السبيل الوحيد لتقويم شخصياتهم وإعادتها إلى الشخصية السوية المحمودة، فهم يفعلون أعمال في ظاهرها الخير لكن النية غير صحيحة، فتوبتهم وعودتهم إلى الصف الإيماني هو السبيل لإيجابيتهم ، وسبب عدم قبول أعمالهم هو عدم الإيمان لقوله تعالى:﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾(التوبة:54)، فبينت الآية سبب ذم شخصياتهم بأنهم لا يؤمنون بالله على الرغم من أدائهم للصلاة وإيتائهم الزكاة لكن ليس إيماناً وإنما خوفاً من السيف، فالتوبة والعودة إلى الله بالإيمان الصادق ظاهراً وباطناً، وإقامة الصلاة بجد ونشاط، وإيتاء الزكاة برضى وحب هو ما يجعل هذه الشخصية شخصية سوية محمودة إيجابية.

ثالثاً: تقويم شخصية أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(التوبة:31) فتقويم شخصية الكتابيين تكون بالتوحيد والتخلص من الشرك كاتخاذ عزيراً لليهود إلهاً والمسيح للنصارى إلها فيكون التوحيد الخالص تصحيحاً وتقويماً لشخصية الكتابيين، ويمثل لهما بعبد الله بن سلام كشخصية يهودية وشخصية عدي بن حاتم الطائي كشخصية نصرانية تم تقويمهم بالتوحيد والعبادة الخالصة لله والديمومة عليها.

رابعاً: تقويم شخصية المشركين :

تقويم هذه الشخصية يكون بدخولها في التوحيد الحق والتوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كشعارين بارزين في الدين الإسلامي قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾**(التوبة:5)** أي: " تابوا ورجعوا عن حالهم والتوبة منهم تتضمن الإيمان ثم قرن تعالى بإيمانهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"(83) ، " فان تابوا عن الشرك بالايمان بسبب ما ينالهم منكم وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم أي فاتركوهم وشأنهم"(84)، " فإن تابوا عن الكفر وصدقوا دعواهم التوبة بالبينة العادلة بأن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلائق خضوعاً لله تعالى"(85)، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ **(التوبة:11).**

فتقويم شخصية المشرك والكافر تكون بالإيمان وترك الشرك والكفر وإقامة الصلاة كما بينته السنة النبوية باتباع الرسول ، وإيتاء الزكاة بنفس راضية محبة فبهذا يبدأ صلاح وتقويم هذه الشخصية ويمثل لهم بإسلام كبار مشركي مكة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وصفوان بن أمية وغيرهم.

أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائـج:

1. أوضح البحث معنى النمط والشخصية في اللغة والاصطلاح.
2. القرآن أصل لكل العلوم الإنسانية.
3. أوضح البحث أن الشخصية في مفهومها العام تعني سمات الإنسان وصفاته العقلية والنفسية والخَلْقية والخُلُقية والوجدانية والاجتماعية التي تخصه و التي يختص بها كل إنسان بذاته عن غيره سواء في اعتناقه الديني أو الفكري أو السلوكي
4. اشتمال سورة التوبة العديد من ملامح وسمات وأنماط الشخصية المختلفة.
5. إبراز الجانب الإعجازي في علم النفس بتصنيف الشخصيات ومراتبهم.
6. تفاوت أنماط الشخصية السليمة مع اشتراكها في الإيمان بين المهاجرين والأنصار والتابعين.
7. تفاوت أنماط الشخصية السقيمة واشتراكها في أصل الكفر وهم المشركون وأهل الكتاب والمنافقون
8. تفاوت أنماط المتخلفين عن الجهاد والأعراب في شخصياتهم وأنماطها.
9. أبرز البحث سمات يختص بها كل نمط من أنماط السورة.
10. أوضح البحث وسائل وسُبل تقويم الأنماط المختلفة –المؤمنة، والمنافقة ، والكتابية ، والمشركة– في السورة.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصي الباحثين بضرورة البحث عن صور متعددة من الاعجاز القرآني في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية وغير ذلك.
2. الاستفادة من العلاج القرآني للنفس البشرية في تقويمها وصياغتها.
3. ضرورة تفقد المسلم لنفسه والحذر من سقوطها في أمراض الأنماط السقيمة
4. أوصي الدعاة بالتعرف على أنماط الناس للقدرة على التأثير عليهم واستقطابهم واختيار الموضوعات المناسبة لعلاجهم.

الهوامش:

1. المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار – ج2 – ص 955– / مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – ج1 – ص

688/ مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا – المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون – ج5 – ص 388–

2. الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية – د. عبد الحميد شاذلي – ص276 ،الصحة النفسية – سفيان مطر – ص75
3. القرآن وعلم النفس – محمد عثمان نجاتي – ص 237
4. المصباح المنير – الفيومي – ج1 – ص 306
5. المعجم الوسيط – ج1 – ص 475
6. الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية – د. عبد الحميد شاذلي – ص266
7. الإسلام وقضايا علم النفس – د. نبيل السمالوطي – ص 174
8. تحليل الشخصيات وفن التعامل معها – ص3
9. منهج القرآن في تحقيق الصحة النفسية للإنسان – فريد زيارة – رسالة ماجستير – ص106
10. الإسلام وقضايا علم النفس – د. نبيل السمالوطي – ص 174
11. الكشاف – الزمخشري – ج2 – ص 229
12. الحديث النبوي وعلم النفس – محمد عثمان نجاتي – ص266
13. الصحة النفسية والعلاج النفسي/ د. حامد زهران/ ص11
14. القرآن وعلم النفس / د . محمد نجاتي /ص236
15. المرجع السابق / ص238
16. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن– ج 14 – ص 434
17. روح المعاني –الألوسي – ج7 – 342
18. فتح القدير – الشوكاني – ج 2 – ص 577
19. صفوة التفاسير – الصابوني – ج2 – ص 226
20. تفسير ابن كثير – ج6 – ص 546
21. أسباب النزول – جلال الدين السيوطي – ص170
22. الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ج 6 – ص259
23. في ظلال القرآن – سيد قطب – ج4 – ص1
24. المرجع السابق – ج3 – ص 495
25. الكشاف – الزمخشري – ج2 – ص 248
26. التحرير والتنوير – ابن عاشور – ج10 – ص 164

27. صفوة التفاسير – الصابوني– ج509/1
28. التفسير الواضح – محمد محمود الحجازي– 902/1 – دار الجيل الجديد – ط10
29. تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ج4 – ص 206
30. روح المعاني – الألوسي – ج7 – ص 348
31. تفسير اللباب في علوم الكتاب – ج10 – ص 193
32. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن– الطبري – ج 14 – ص 432
33. المرجع السابق – ج14 – ص 440
34. في ظلال القرآن – سيد قطب – ج 4 – ص 65
35. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن– الطبري – ج14 – ص 429
36. البحر المحيط – ابن حيان – ج5 – ص94
37. فتح القدير –الشوكاني – ج2 – ص570
38. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم– أبو السعود – ج4– ص109
39. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن– الطبري– ج14 – ص500
40. في ظلال القرآن – سيد قطب – ج4 – ص87
41. مدارك التنزيل وحقائق التأويل –النسفي –ج2 – ص128
42. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ج 14 – ص 502
43. االمرجع السابق – ج 14 – ص 502
44. فتح القدير –الشوكاني – ج2 – ص592
45. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ج 14 – ص505
46. مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي– ج2 – ص 129
47. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ج 14 – ص506
48. في ظلال القرآن – سيد قطب – ج 4 – ص88
49. صفوة التفاسير – الصابوني– ج2– ص241
50. تفسير جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ج 14 – ص506
51. المرجع السابق – ج 14 – ص507
52. مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي – ج 2 – ص 129
53. فتح القدير – الشوكاني – 2ج– ص554
54. أنوار التنزيل وأسرار التأويل– البيضاوي – ج1 – ص136

55. المحرر الوجيز – ابن عطية – ج3 – ص11
56. مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي – ج 2 – ص104
57. التحرير والتنوير – ابن عاشور – ج10 – ص 126
58. فتح القدير – الشوكاني – ج 2 – ص 493
59. روح المعاني – الألوسي– ج 7 ص 167
60. المرجع السابق – ج 7 – ص 167
61. المرجع السابق– ج 7 – ص 167
62. المرجع السابق– ج 7 – ص 168
63. التحرير والتنوير – ابن عاشور – ج10 – ص 126
64. مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي – ج 2 – ص 108
65. البحر المحيط – ابن حيان – ج 5 –ص15
66. التفسير الكبير– الفخر الرازي – ج1 – ص 2181
67. البحر المحيط – ابن حيان – ج5 – ص 16
68. المرجع السابق – ج 5 – ص 16
69. مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي – ج2 – ص 109
70. المرجع السابق – ج2 – ص 109
71. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – البيضاوي – ج1 – ص142
72. المحرر الوجيز – ابن عطية – ج3 – ص 31
73. في ظلال القرآن – سيد قطب – ج3 – ص 497
74. الكشاف – الزمخشري – ج2 – ص 251
75. مدارك التنزيل وحقائق التأويل –النسفي – ج 2 – ص112
76. المرجع السابق – ج2 – ص 113
77. فتح القدير – الشوكاني –ج 2 – ص538
78. المرجع السابق – ج2 – ص546
79. المرجع السابق – ج2 – ص 551
80. المرجع السابق – ج2 – ص 551
81. الكشاف – الزمخشري – ج 2 – ص 274
82. الحديث النبوي وعلم النفس – د. نجاتي – ص268

83. المحرر الوجيز – ابن عطية – ج3 – ص12
84. روح المعاني – الألوسي – ج10 – ص51
85. نظم الدرر – البقاعي – ج3 – ص271

المراجع:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط1984، الدار التونسية للنشر.
2. ابن فارِس، أحمد بن زكَرِيّا، مقاييس اللغة، المحقق: هَارُون ، عبد السَّلام محمد، ط 1423هـ، اتحاد الكتاب العرب.
3. ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الكتب العلمية.
4. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
5. الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر الألوسي.
6. الأندلسي ، عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، ط1، دار الكتب العلمية.
7. الأندلسي، ابن حيان محمد، البحر المحيط ، ط1420هـ، دار الفكر.
8. البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
9. البيضاوي ، ناصر الدين، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار إحياء التراث العربي.
10. الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط10 ، دار الجيل الجديد.
11. د. السمالوطي، نبيل، الإسلام وقضايا علم النفس، ط2 – 1404 هـ، دار الشروق.
12. د. زهران، حامد ، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط2، عالم الكتب.
13. د.شاذلي ، عبد الحميد، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية ، ط 1999م، المكتب العلمي للنشر والتوزيع ، اسوان.
14. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، مختار الصحاح، ط 1415 – 1995 ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
15. الرازي، محمد ، التفسير الكبير مفاتح الغيب ، ط3، دار إحياء التراث العربي.
16. الزمخشري ، محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط3، دار الكتاب العربي.

17. زيارة ، فريد ، *منهج القرآن في تحقيق الصحة النفسية للإنسان*، 2009 ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، غزة.

18. السيوطي، جلال الدين، أسباب النزول، دار الكتب العلمية ، بيروت.

19. الشوكاني ، محمد بن علي، تفسير فتح القدير، ط1 ، دار ابن كثير.

20. الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني.

21. صالح، عبد الكريم، *تحليل الشخصيات وفن التعامل معها*.(1427هـ).

22. الطبري ، محمد بن جرير، تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، دار هجر للنشر.

23. الفيومي ، أحمد بن محمد ، المصباح المنير، ط1، دار الحديث.

24. القرطبي ، محمد، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتب المصرية.

25. قطب ، سيد، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

26. مصطفى، إبراهيم . الزيات ،أحمد . عبد القادر ، حامد . النجار ، محمد ، المعجم الوسيط ، دار النشر، دار الدعوة.

27. مطر ، سفيان ، الصحة النفسية ،ط1، مكتبة الطالب الجامعي، غزة.

28. نجاتي ، محمد عثمان ، الحديث النبوي وعلم النفس، ط1، دار الشروق.

29. نجاتي ، محمد عثمان ، القرآن وعلم النفس ، ط6، دار الشروق.

30. النسفي ، عبد الله ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت.

31. النعماني، سراج الدين عمر، تفسير اللباب في علوم الكتاب، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.